دور الجغرافية في انجيل مرقس

العالم مركّب ومنظّم بحسب حدود مرسومة، فإن اختُرِقَت هذه الحدود تغيَّر العالم...

غالباً ما تأخذ الأمكنة التي يجري فيها الحدث عند مرقس دور مزدوج. فإن كان دورها الأول هو تحديد الامكنة التي تدور فيها مختلف حقبات رسالة يسوع، فهي من جهة ثانية لا يمكن ان تكون محايدة. فعندما يدخل يسوع مثلاً الى مجمع، وهو مكان دراسة الشريعة والصلاة، فهو غالباً ما يكون منقاداً الى مواجهة مفسّري الشريعة الرسميين أي الكتبة وعلماء الشريعة؛ وعندما يدخل الى الهيكل ويطرد باعة الحيوانات والصرافين فإنه يضع على المحك الهيكل وما يمثّله؛ وعندما يستعمل بحر الجليل مع تلاميذه، لا يمكننا ان ننسى بان البحر كان رمزاً لكل القوى الشريرة التي تهدد الانسان؛ فأن يواجه يسوع عاصفة البحيرة ما هو الا رمز لمواجهته قوى الموت إلخ. أمكنة الاحداث هي عند مرقس، مفاتيح لقراءة معنى هذه الأحداث.

أعطى مرقس في انجيله إطارًا بسيطًا لحياة يسوع، يمكن من خلاله تمييز قطبين أساسيين هما: الجليل وأورشليم.

بعد عماده في الأردن (١: ٩)، يبدأ يسوع رسالته في الجليل، شمال فلسطين (١: ٤-٩: ٢٩). ولن يأخذ طريق الجنوب إلا متأخرًا، في طريقه نحو أورشليم العاصمة اليهودية (٩: ٣٠)، حيث سيواجه السلطات الدينية وشعبه، وسيتألم ويموت ويقوم (١١: ١-١٦: ٨). لا بد وأن تكون هذه المسيرة المبسّطة، نتيجة تصميم لاهوتي أكيد. ولا بد من أن يكون في الصورة التي يرسمها مرقس عن يسوع، مسيح المسيرة الدائمة، والجوّال الدائم من مكان إلى آخر، إلا في أورشليم، دلالات يقصدها. فنحن نعرف أن رسالة يسوع المسيح دامت أكثر من سنتين، وقد زار الرب أورشليم أكثر من مرة واحدة، في مناسبات الأعياد اليهودية، على حسب ما ينقل القديس يوحنا في انجليه[١]. هذا ما يؤكد بأن مرقس استعمل الجغرافيا لهدف محدد و لخدمة لاهوتية. لقد تحوّل عنده الجليل وأورشليم الى مكانين متعارضين، لكل منهما معناه الخاص، فأخذت الأمكنة والتحركات وظيفة محددة، تلعبها في إظهار ما يريد ايصاله الى جماعته والقرّاء.

محاولة وضع تصميم للانجيل الثاني بحسب الجغرافيا

[١] رج يو ٥: ١؛ ٧: ٢؛ ١٠: ٢٢؛ ١٢: ٢٢

تشكل الآيات ١: ١-١٣، من الناحية الجغرافية، قسمًا مستقلاً عن كل الانجيل ، فهي تتم في البرية (آ ٣، ٤، ١٢).

* المرحلة الأولى: في ١: ١٤-٧: ٢٣ تدور أحداث رسالة يسوع في الجليل بشكل خاص (في كفرناحوم ١: ٢١ و٢: ١ ؛ في الناصرة ٦: ٦ ؛ في جناسرت في ٦: ٥٣) وعلى شاطيء البحر" أي بحيرة طبريا (١: ١٦؛ ٢: ١٣؛ ٣: ٧؛ ٤: ١) حيث أتى اليه سكان كل المناطق المجاورة (٣: ٧ الجليل واليهودية وأدوم وعبر الأردن وصور وصيدا). أما دخول يسوع المقتضب الى أرض وثنية في ٥: ١-٢٠ ومشروعه المبدأي الذي لم يتم في دخول بيت صيدا (٦: ٤٥) فيشكّل إعلانًا ومقدمة للمرحلة اللاحقة.
* المرحلة الثانية (٧: ٢٤-٨: ٢٩): نشهد في حدث المرأة الكنعانية (٧: ٢٤-٣٠) مرحلة حاسمة على المستوى الجغرافي، بعدها يخبر مرقس سلسلة إقامات ليسوع في أرض غريبة، فنراه يجتاز أرض صور (٧: ٢٤) ويمر نحو صيدا (٧: ٣١)، ويقيم في المدن العشر (٧: ٣١)، ويصل دلمانوتا (٨: ١٠) بعد أن يتم شفاء في بيت صيدا (٨: ٢٢)، أي الشاطيء الوثني للبحيرة، ويصعد الى القرى المجاورة لقيصرية فيلبس (٨: ٢٧) حيث يطرح مسألة هويته[٢].
* المرحلة الثالثة من الانجيل تبدأ بعودته الى الجليل (٩: ٣٠) بهدف الصعود الى أورشليم (١٠: ٣٢، رج ١٠: ٤٦ وذكر أريحا) مرورًا باليهودية (١٠: ١).
* أما القسم الأخير من الانجيل فيبدأ بوصوله الى بيت عنيا (١٠: ١) ودخوله أورشليم (١١: ١١)، وينتهي بخبر الآلام في أورشليم (١٤: ١-١٦: ٨)

انجيل مرقس بين الجليل وأورشليم

سأتوقف في هذا المقال، بشكل خاص، عل أماكن رسالة يسوع في الجليل (١: ١٤-٩: ٣٧)، مظهرة مفاتيحها ومعانيها الأساسية، قبل أن أمرّ وبشكل سريع على بعض أماكن أورشليم والمقصود من ذكرها. الجليل عند مرقس هو مكان الانفتاح والرسالة التي تطال الشعوب كافة. فمنذ العهد القديم، عرفت هذه المنطقة الشمالية اجتياحات غريبة حتى صار اسمها "جليل الأمم" (أش ٨: ٢٣). في هذا الجليل تربّى

[٢] يمكننا أن نظن بأن مرقس لا يعرف جغرافية المنطقة جيدًا. ففي ٧: ٣١ مثلاً نراه يخرج من ناحية صور ليصعد الى صيدا شمالاً في طريقه جنوبًا نحو بحيرة طبريا. ربما يعود هذا التردد الى اختلاف مصادره، أو الى معرفته لطرقات لا نعرفها اليوم... المهم هو الهدف اللاهوتي من الجغرافية، وهو ما يشدد عليه مرقس منذ ٧: ١ وخاصة ما زال في ٧: ٢٤ في أرض وثنية، يجتازها طولاً وعرضًا وعمقًا، قبل أن يعود الى المدن العشر حيث شفى المسكون (٥: ١-٢٠)

يسوع في الناصرة (لو ٦: ١)، وهنا افتتح رسالته (١: ١٤)، وفيها (في كفرناحوم) جعل مركز عمله وتعليمه (١: ١٦؛ ٢: ١، ١٣؛ ٣: ٧؛ ٤: ١)، وقد تبعته جموع قراها ومدنها الذين أشعلتهم كلماته وآياته.

من الجليل قاد يسوع تلاميذه متخطّيًا الحدود، إجتاز معهم بحيرة طبريا، من الضفة الغربية اليهودية، الى الضفة الشرقية الوثنية (٤: ٣٥ — ٥: ٢٠). زار معهم صور وصيدا (٧: ٢٤، ٣١أ)، والمدن العشر (٧: ٣١ب)، في إشارة الى أن يسوع ليس مسيح اليهود وحسب، بل مسيح البشرية قاطبة، ومخلّص العالم أجمع. فإن أعطى كلمته وخيراته لليهود، فإنه يعطيها أيضًا للشعوب الأخرى. هذا هو معنى تكثير الخبز في الناحية اليهودية للبحيرة (مر ٦: ٣٠-٤٤)، ثم في ناحيتها الوثنية (مر ٨: ١-١٠). وفي بيت صيدا، المدينة الوثنية، شفى أعمى (٨: ٢٢-٢٦) كمقدمة لما سيكشفه من هويته في قلب العالم الوثني في قيصرية فيلبس (٨: ٢٧-٢٩). وبعد قيامته، ضرب موعدًا لتلاميذه في جليل الأمم هذا، الى حيث سبقهم ليوكل اليهم حمل البشارة إلى العالم أجمع، كما فعل هو ذاته (١٦: ٨، ١٥).

في مقابل الجليل، القطب المنفتح، يضع مرقس أورشليم، العاصمة اليهودية، قطب الإنغلاق ومواجهة يسوع. فمنذ البدء "نزل الكتبة والفريسيون" من أورشليم ليتهموا يسوع بأنه "مسكون من الشيطان" (٣: ٢٢)، وبأن تلاميذه يخرقون تقاليد الآباء (٧: ١). في أورشليم، قلب الايمان اليهودي، سيواجه يسوع قسوة رؤساء الشعب المختار (١١: ١-٢: ٤)، وفيها سيُعتَقَل ويحاكَم ويُقتَل بحسب إرادة أعلى السلطات اليهودية (١٤: ١-١٥: ٤٧).

جغرافية مرقس تحمل إذًا رسالة أساسية، محورها شمولية الخلاص، وانفتاحه على الجميع من جهة، وخطر الإنغلاق المسيحي في ما يمكن تسميته "أورشليم"، الموجودة في كل زمان ومكان من جهة ثانية. فتأتي دعوة الرب في انجيل مرقس، كدعوة دائمة للتقدم نحو العمق لحمل الخلاص الى أقاصي الأرض.

لاهوت رسالة يسوع بحسب جغرافية مرقس

بدء رسالة يسوع وعمله في الجليل مر ١: ١٤ — ٧: ٢٣

"[١٤]وبَعدَ اعتِقالِ يوحَنَّا، جاءَ يسوعُ إِلى الجَليل يُعلِنُ بِشارَةَ الله، فيَقول: [١٥] تَمَّ الزَّمانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكوتُ الله. فَتوبوا وآمِنوا بِالبِشارة". آيتان تحضّران ما يلي، وتعطيان القليل من الدلالات الجغرافية، والزمنية والاجتماعية...، فلا نعرف الى من يتوجه يسوع، لكننا نعلم أن الأحداث تدور في الجليل حيث يتعايش اليهود والوثنيين.

بعد الملخّص، يأتي أول عمل ليسوع: دعوة التلاميذ الأربعة الأوائل، في مشهدين شبه متطابقين (١: ١٦-١٨؛ ١٩-٢٠). في المشهد الأول (آ ١٦-١٨) يضيق حقل العمل من "كل المنطقة" الى "شاطئ البحيرة" حيث يتوجه للأخوين سمعان واندراوس. أما في المشهد الثاني (آ ١٩-٢٠) فيترك ابنا زبدى ليس أدوات العمل وحسب بل رفاق العمل أيضًا. وفي الحالتين، ترك التلاميذ البحيرة، لينفتحوا على العالم كله مجالاً للصيد بواسطة كلمة الله وحدها، دون أي وسيلة صيد أخرى. بعدها ينتقل يسوع الى كفرناحوم حيث ينقل لنا مرقس يومًا افتتاحيًا طويلاً ينتهي ليلاً، قبل أن يتابع عمله في كل الجليل (١: ٣٩).
يمكن وضع رسالة يسوع في الجليل تحت عنوانين: الخروج في البداية، والطريق في النهاية.

يوم في كفرناحوم (١: ٢١-٣٩): يوم "الخروج"

يبدأ هذا اليوم بالتعليم في المجمع يوم السبت (١: ٢١-٢٨). ينتقل يسوع بعدها الى بيت خاص حيث يشفي حماة بطرس (١: ٢٩-٣١)، وفي المساء حمل اليه الناس مرضاهم الى باب المدينة، فشفاهم (١: ٣٢- ٣٤) قبل أن ينفرد ليلاً للصلاة، ثم الى التخوم المجاورة لإعلان البشرى السارة (١: ٣٥-٣٩).
"خرج" الروح النجس (آ ٢٦)، كذلك "خرج" يسوع في جميع أنحاء الجليل (آ ٢٨)، وقبل طلوع الفجر "خرج" وحده للصلاة (آ ٣٥) ليبحث عنه بطرس ومن معه، فيُشرِكهم يسوع للمرة الأولى في رسالته غير المحدودة بمكان معيّن، مع أنه وحده من يُعلِن البشرى السارة. بعد شفائه، يقوم الأبرص بما يقوم به يسوع فـ"خرج" "يذيع" (آ ٤٥). مع يسوع لا يمكن لشيء أن يبقى حيث هو، فالخروج دائم مستمر، يغيّر القديم ويُطلق مسيرة لن تقف عند حدود، بهدف حمل الكلمة وإعلان البشرى. هذا ما يُظهِره حدث شفاء مخلّع كفرناحوم (مر٢: ١-١٣).

في الآية الاولى اشارة الى الوقت "بعض بضعة ايام" وتحرّك "عاد الى كفرناحوم". بإمكاننا التوقف عند الآية ١٢ لكن من الافضل إدخال الآية ١٣ ايضاً حيث يتحرّك يسوع بعكس الآية الاولى "خرج يسوع" وحيث الزمن imparfait "أخذ يعلّمهم".

*** شفاء المخلّع (٢: ١-١٣)**

في هذا النص المشكلة مزدوجة فمن جهّة لم يعد هناك مكان في البيت فتبدو كلمة يسوع مسجونة لا تصل إلى من هم في الخارج، ومن ناحية ثانية نجد اربعة رجال يحملون مخلّعًا بحاجة الى شفاء. يأتي الحل على ثلاث مراحل فتُعلَن كلمة الله في الاماكن غير المحدودة (٢: ١٣)، ويُشفى المخلّع، وتُغفَر خطاياه.

أما التغيّرات التي قادت الى هذه الحلول فتتمثّل بايمان من حملوا المخلّع، وهو ما كسّر الاغلاق على كلمة يسوع، ثمّ هناك عمل يسوع غير المنتظر الذي غفر للمخلّع في الوقت الذي كان الجمع ينتظر شفاءه، وأخيرًا يأتي الشفاء ولكن كبرهان على قوة كلمة يسوع، وفعاليتها على الخطايا التي تخلّع البشر.

النص مليء بالمعارضات، فالمكان المقفل (البيت)، يتعارض مع المكان المفتوح (شاطئ البحر)؛ وإيمان حاملي المخلّع، يتعارض مع عدم ايمان الكتبة الذين يرفضون ان يروا في يسوع حامل كلمة الله، معتبرين انهم، كاختصاصيين في كلمة الله، وحدهم القادرون على التمييز بين ما هو من الله وغيره[٣].

إن قوة كلمة يسوع تذهب الى ابعد من الشفاء الجسدي: "قم" هو فعل القيامة أي بإمكاننا ترجمته "قم من الموت" وبالتالي فإن القارئ يفهم بأن يسوع يقولها لكل مؤمن على مدار الأزمنة وفي كل الاماكن. ويبقى سؤال لا يحلّه مرقس في هذا النص "من هو يسوع؟" قال الكتبة "مجدّف" في حين اكتفى الجمع بالاندهاش. يجب ان ننتظر خاتمة الانجيل لنسمع رجلاً هو القائد اليوناني يعلن "حقاً هذا الرجل كان ابن الله".

*** الخارج والداخل**

انتشر صيت يسوع خارج الجليل ليطال اليهودية وأبعد من حدود اسرائيل، فيصعد يسوع الى الجبل ليدعو تلاميذه ويؤسس جماعة الاثني عشر (٣: ٧-١٩). هذا ما يطرح موضوع سلطته (٣ ٢٠-٣٥)، أولاً من خلال جدال مع كتبة أورشليم (آ ٢٢-٣٠)، ثم من خلال موقف أهل يسوع، فنرى أمه واخوته يقفون خارجًا فيما كان حوله جمع كثير (آ ٢٠-٢١، ٣١-٣٥). فمن هو تلميذ يسوع إلا من يسمع كلمته فيصبح عائلته التي تعمل إرادة الله؟

– نقرأ في ٤: ١٠ "لكم أعطي سر ملكوت الله، أما الذين 'في الخارج' فيكون لهم كل شيء لغزًا...". فالداخل والخارج لا يتعلقان إذًا بالوضع الاجتماعي أو الاقتصادي أو الفكري، بل بالحميمية مع الرب،

[٣] صحيح أن في جوهر النص تأكيد ان يسوع قادر على غفران الخطايا. هذا هو الاهم لكن القراءة المعمّقة للنص توصلنا الى اعمق من ذلك. تبدو كلمة الله مسجونة في داخل البيت، لكن هناك من لاحظوا قوة كلمة يسوع فعملوا للوصول اليها وكسر انغلاقها. يجاوب يسوع على هذا الايمان المعلن لكنه يذهب الى ابعد من توقّعاتهم: ان الشلل الجسدي بالنسبة له ليس الا صورة لشلل اخطر تسببه الخطيئة. يكشف يسوع اذا رسالته الحقيقية وهي تحرير الانسان من ربط الموت.

والسير معه. من هم من "الداخل" هم الذين "حول يسوع" (٤: ١٠)، عكس من هم من "الخارج" الذين لم يريدوا الدخول. فبمقدار ما نقبل الانفتاح على سر الملكوت، يمكننا فهم تعليم الرب فيختفي الخارج، وبمقدار ما نعارضه، يبقى عصيًّا على فهمنا، ونبقى خارجًا. ليس الملكوت حقيقة نمتلكها وملكوتًا نرثه، بل علاقة نحياها بعمقها. سيصل هذا التعليم الى الجميع إنطلاقًا من سفينة في وسط البحر. في هذه السفينة وقف يسوع ليعلّم شروط التلمذة (٤: ١-٣٤) ، وكيفية تقبّل الكلمة، ليس كمن على جانب الطريق، أو كالأرض الصحراوية أو كما لو كان بين الشوك، بل كالأرض الطيّبة[٤]. فأين زَرَع يسوع كلمته؟ وأين هي هذه الأرض الطيبة؟ أهي في الأرض المقدسة أم في مكان آخر؟

*** الأرض الطيبة لقبول كلمة الله**

عندما نتكلم عن أرض طيّبة صالحة للبشرى السارة، نتكلم عن أمكنة جغرافية محددة في فكر القاريء. فأين يضع مرقس هذه الأمكنة الجغرافية؟

يذكر انجيل مرقس ثلاث رحلات يقوم بها يسوع متنقلاً في الأولى بين مناطق الجليل اليهودية والوثنية في المدن العشر (٤: ٣٥-٦: ٢٩)؛ ثم بين الجليل وفينيقيا، ومجددًا الى المدن العشر (٦: ٣١-٨: ١٠) في رحلته الثانية؛ وفي الرحلة الثالثة صعودًا حتى قيصرية فيلبس، الأرض الوثنية.

تتداخل هذه الرحلات مع التصميم الذي حاولنا وضعه للانجيل الثاني في بداية هذا المقال، لكنها توضح تمامًا الفكرة التي تحكم هذا التصميم، والمتعلقة بجغرافية مرقس اللاهوتية، المتركّزة على همّ شمولي ولاهوت انفتاح يواجه خطر الإنغلاق الحاضر.

رحلات يسوع في الجليل (٤: ٣٥-٩: ٣٣)

[٤] سيعود الى هذه الشروط في ٨: ٣٤-٣٨؛ ١٠: ٢٣-٣١؛ ١٣: ٩-١٣

١- **الرحلة الأولى (مر ٤: ٣٥-٦: ٢٩)**: للمرة الأولى ينزل يسوع في المدن العشر، وهي منطقة وثنية[٥]

.

هي المرة الأولى التي يعبر فيها يسوع وتلاميذه البحيرة من ضفتها اليهودية الى ضفتها الوثنية[٦]. تسبب دخوله عالم الوثنيين عبر مملكة الأرواح المتمثّلة في المياه، في عاصفة هوجاء كادت تقضي على السفينة، لكن يسوع هو السيّد المنتصِر على قوى الشر كلها[٧]، فيصل القارب بسلام الى الضفة الأخرى من البحيرة (٤: ٣٥-٤١). وفي حين يشير النص الى أنهم "وصلوا" جميعًا في ٥: ١، فهو لا يلبث أن يتكلم عن يسوع وحده بالمفرد، ليعلن في ٥: ٢ أنه "خرج من القارب" وفي آ ١٨ انه (صعِد). ليس للتلاميذ أي دور في النص، ففي هذه الأرض تتعلق المسألة بيسوع وبسكان المنطقة.

يشدد النص على وصف حالة المسكون، ومسكنه، بهدف وصف درجة اللاإنسانية التي وصل اليها: مسكنه بين الأموات، قوته سوبرانسانية (شيطانية)، لا يميّز النهار من الليل، ولا يحترم جسده، ولا يعرف كيف يعبّر بل يصرخ كالحيوانات. هو لا يملك ذاته، وبالتالي ليس سيد ذاته. إنه الغريب عن نفسه وعن الآخرين. يحيا كالميت بين الأموات، شخص مشرذم، مقسّم "جوقة". إنها حالة أهل هذه الأرض، الذين سيعودون الى انسانيتهم بعد تدخّل الرب.

باديء الأمر، حاول هذا الرجل المسكون أن يمسك بيسوع فلا يدعه يدخل أرضه. لكن يسوع طرد الروح الشرير، فانتظمت الأمور. هذا ما أخاف الناس فانتفضوا ضده، لأن في تدخّله خربطة للتوازن الهش الذي بنوا عليه وجودهم. كان كل شخص قد ركّز حياته بطريقة معيّنة يدل عليها مكانه في النص: المسكون في قبره، الخنازير على تلالهم، البشر في مدنهم... فعلى يسوع إذًا أن يختفي لئلا ينكسر هذا التوازن. والبرهان واضح: انتظم المسكون جالسًا لابسًا يتكلم؛ وتركت الخنازير أرض البشر لتدخل عمق البحر؛ وخرج السكان من مدينتهم... يترتّب على تدخّل يسوع تغييرات جذرية فعلية، فالأفضل أن يخرج من منطقتهم كي يعود كل شيء الى نظامه المعتاد. لكن المسكون الذي شفي لم يُرِد أن يعود الى الصف، فرجاه أن يكون "معه"، أي من جماعة تلاميذه. وتأتي المفاجأة بأن يسوع أعاده ليشهد في بيته بين أهله. والحقيقة هي أن يسوع سيستجيب

---

[٥] منطقة الجرجسيين هي إحدى الأمم السبع التي طُرِدت من كنعان.

[٦] بالحقيقة يذكر الانجيل الثاني ثلاث اجتيازات قام بها يسوع للبحيرة في ٤: ٣٥-٤١ ؛ وفي ٦: ٤٥-٥٢ حيث قام بشفاءات؛ وفي ٨: ١٤-٢١ حيث كثّر الخبز.

[٧] في مسيرته ، هبّت عاصفة شبيهة بما عاشه يونان في ذهابه نحو الوثنيين. السفينة في خطر (١: ٤) ويونان نائم في المؤخرة (١: ٥)، يوقظه القبطان ويرجوه أن يصلي لإلهه لئلا يهلك الجميع (١: ٦). على عكس يونان الهارب من إرادة الله، فتسبب بعاصفة لن تهدأ إلا بعد رميه في البحر (١: ٥)، يسوع "المعلم" هو سيد الطبيعة والأرواح.

لطلب كهذا بعد عودته الى "أرض المدن العشر" في ٧: ٣١ وشفائه لأطرش – المعقود اللسان بعد أن أمره بلغته أن "أتفتح". عندما سمع المعقود اللسان الأطرش كلمة الله ، شفته، ففهم معناها الحقيقي بلغته وإطاره الحياتي والوجودي وصار عندها قادرًا على حملها حوله.

٢- **الرحلة الثانية (مر ٦: ٣١–٨: ١٠)**: رحلة طويلة تمتد بين تكثير الخبز الأول على الضفة الغربية (١٢ قفة لـ ١٢ قبيلة) وتكثير الخبز الثاني على الضفة الشرقية (٧ سلاّت للأمم السبع بحسب تث ٧: ١؛ أع ١٣: ١٩). هذا ما أدى بالعديدين الى تسمية هذا القسم "قسم الخبز" (٦: ٣٠–٨: ٢٦).

ذهب يسوع من كفرناحوم مع تلاميذه الى مكان قفر' عند وصوله الى الينابيع السبع (طبغا) فاجأته الجموع الغفيرة فأخذته الشفقة، وعلّمهم مطوّلاً حتى المساء ثم أطعمهم (مر ٦: ٣٠–٤٤). بعدها **أجبر تلاميذه** أن يبحروا الى بيت صيدا، خارج منطقة هيرودس أغريبا الذي لم يكن يحبّذ حماس الجموع، لكن الرسل لم يتمكنوا هذه المرة أيضًا، من التقدم بسبب الرياح العاتية (رج ٤: ٣٥–٤١)، فأتى يسوع الى نجدتهم ماشيًا على المياه، ليصلوا جميعًا الى جناسرت. (٦: ٤٥–٥٦)، هنا نشهد جدالاً حول الأكل الطاهر والنجس (٧: ١–٢٣)، قبل الانطلاق الى فينيقية، الأرض الغريبة النجسة (مر ٧: ٢٤). هو الذي أعلن ان كل المآكل طاهرة (٧: ١٩)، دخل الى أرض غير طاهرة. هنا يأتي ما وضعناه تحت عنوان المرحلة الحاسمة في رسالة يسوع الأرضية، التي ستقوده الى الإقامات المطوّلة في الارض الغريبة. فما الذي حدث؟

في لقائه مع المرأة الفينيقية، إستطاعت هذه المرأة تحويل مسار تفكير الرب. قبلت ما قاله، بعد أن أكّد لها بوضوح عدم جواز إعطاء خبز البنين للكلاب، وأكدت صحته؛ لكنها غيّرت وجهة نظره المركّز على من هم فوق المائدة، الى من هم تحتها. لم تدخل معه في جدالات الهوية وحقوق الجنسيات، بل اقتصرت في حوارها على لفت نظره الى المساحة التي تمتد تحت من هم فوق. فليأكل من هم فوق الطاولة، ولكن ليدعوا من هم تحت الطاولة أيضًا يأكلون الفتات المتساقط.

بدأ يسوع كلامه على المستوى الزمني بقوله المنطقي بضرورة أن يأكل الأولاد "أولاً"؛ فيما عملت المرأة في كلامها على المستوى الجغرافي، فساهمت في بداية مرحلة مهمة في رسالته هي مرحلة الشمولية. طلبت منه ألا ينظر بعد الآن نظرة رب العائلة المهتم بأولاده فقط، ساعيًا الى عدم إضاعة شيء من أمامهم، ورجته النظر الى من هم تحت الطاولة، الذين لا يسعون الى حرمان الأولاد، بل الى الإفادة من الفائض المتساقط هباءً، فيشبع الجميع كل حيث هو.

بعد هذا النقاش حول فتات الخبز المتساقط عن مائدة البنين (٧: ٢٤–٣٠)، بدأ الانفتاح الكبير على الوثنيين في المدن العشر حيث شفى الأصم المعقود اللسان وأطعم ٤٠٠٠ رجل (مر ٨: ١–١٠).

الخبز للجميع (٦: ٣٤–٤٤؛ ٨: ١–١٠)

بعد تكثير الخبز في ٦: ٣٤–٤٤ يعود مرقس الى خبر آية تكثير خبز ثانية في ظروف متشابهة: جموع غفيرة أتت من أجل يسوع (٦: ٣٦؛ ٨: ١)، وهي جائعة بلا غذاء (٦: ٣٦؛ ٨: ١)؛ يسأل يسوع تلاميذه عما معهم من مأكل (٦: ٣٨؛ ٨: ٥)؛ خبز وسمك (٦: ٣٨؛ ٨: ٥، ٧)؛ بعد إجلاس الجمع (٦: ٣٩؛ ٨: ٦) يبارك يسوع الخبز (٦: ٣٨؛ ٨: ٦)؛ يطلب من تلاميذه توزيعه (٦: ٤١؛ ٨: ٦)؛ وفي النهاية تشبع الجموع ويبقى الكثير من المأكل (٦: ٤٣؛ ٨: ٨)؛ ثم بعد صرف الجموع يذهب يسوع وتلاميذه في السفينة (٦: ٤٥؛ ٨: ١٠). لكن مع اختلافات عديدة ومهمة. فنجد أن التلاميذ ليسوا من يتساءلون عن جوع الناس بل يسوع (٦: ٣٥–٣٦؛ ٨: ٢) وكأنهم غير حسّاسين ولا متحمّسين لجوع هؤلاء؛ وانه يهتم لهذا الجوع ليس لأن الجموع كخراف لا راعي لها (٦: ٣٤) بل لطول الوقت الذي لم تأكل فيه شيئا (٨: ٢–٣)؛ وفي حين كان عندهم في الحالة الأولى خمس خبزات وسمكتين (٦: ٤١)، فإن عندهم في الحالة الثانية سبع خبزات وبعض السمك الصغير (٨: ٥، ٧)؛ وإن يكن قد شبع في المرة الأولى خمسة آلاف شخص وبقي اثنتي عشرة قفة، فقد أكل في المرة الثانية أربعة آلاف شخص وبقي سبع سلال (٨: ٨–٩)؛ والأهم من كل ذلك أن الآية الأولى تمّت في أرض اسرائيل فيما حدثت الثانية في أرض وثنية. لهذه الأرض أيضًا فاضت نعم الرب وبقي لكل الأمم فتات يقتاتون منه[٨]. لقد أثمرت كلمة الفينيقية وأتت حقبة الشمولية والخبز للجميع.

٣- الرحلة الثالثة (مر ٨: ١٣–٩: ٣٣)

رحلة نحو الشمال لتنشئة تلاميذه على سبل الايمان. من السفينة بين كفرناحوم وبيت صيدا، ظهرت جليًا قلة ايمان الرسل (٨: ١٤–٢١)[٩]. عند وصوله الى بيت صيدا أخذ يسوع أعمى بيده وقاده خارجًا وفتح له عينيه على مراحل (رمزًا لطريق الايمان ٨: ٢٢–٢٦).، فيُظهر أن كل شيء لم يضع (٨: ٢٢–٢٦). في منطقة

[٨] يذكر سفر التكوين أن عدد الأمم هو سبعون (تك ١٠: ٢–٣١؛ سبع شمامسة في أع ٦: ١–٦).

[٩] في مجمع الناصرة، لم يستطع أقاربه أن يتخطوا ما يعرفونه عن أصله وعمله (٦: ١–٦)، فاعتبروه مجنونًا (٣: ٢١)؛ ولم يواجَه من قبل أهل وطنه إلا بقلة الايمان (٦:٦)؛ وبدأ الفريسيون يأتمرون لقتله فيما لم يفهمه تلاميذه بشكل أفضل (٦: ٦ب – ٨: ٢٦). التلاميذ، لا يرون (٨: ١١–١٣)، وكأنهم كالفريسيين الذين يطلبون "آية من السماء" غير قادرين على رؤية ما على الأرض. يبدو وكأن كل تعب يسوع في رسالته قد ذهب سدى.

قيصرية فيليبس وهي مدينة وثنية، سأل يسوع تلاميذه عن هويته، فما فهموا إلا أنه المسيح دون وعي جوهر ما يقولون. في عمق الأرض الوثنية، لا يمكن لوم الناس عندما يكون التلميذ غير مدرك لحقيقة الرب المصلوب.
في الطريق أعلن يسوع آلام ابن الانسان لتلاميذه غير المصدّقين مرة واثنين وثلاث (٨: ٣١؛ ٩: ٣٠؛ ١٠: ٣٢)؛ وفي الطريق كان تعليمه مخصَصًا للتلاميذ الذين لا يفهمون (آ ٣٢)، والذين بالرغم من خوفهم تناقشوا حول المصير والمستقبل. الطريق هو مكان التفكير حول كيفية أن يكون الانسان تلميذًا (٩: ٣٣؛ ١٠: ١٧-٣١، ٣٢- ٤٥).

الطريق في إنجيل مرقس

طوبوغرافيا إنجيل مرقس هي مسيرة لا تقف في أرض، إنها أرض دائمًا أمامنا.
يبدأ مرقس انجيله في ١: ٢ بمرجع من أشعيا يُدخل إليه تعديل بسيط "... يهيء طريقك" " بدلً من "يهيء الطريق" وهكذا في آ ٢ ب حيث نقرأ "سبلك" بدلاً من "السبل". سيعود مرقس الى موضوع الطريق في كل انجيله (٨: ٢٧؛ ٩: ٣٣-٣٤؛ ١٠: ١٧، ٣٢، ٤٦، ٥٣). فكما أمر الله خدامه بتهيئة الطريق التي سيسير فيها أمام شعبه كما في أيام الخروج من العبودية في طريق العبادة، هكذا تلقى يوحنا مهمة تحضير طريق المحرِّر.
فبطرس الذي طلب منه يسوع أن "سِرْ ورائي" في ٨: ٣٣ حاول للمرة الأولى منذ بداية مسيرته مع يسوع أن يجد معنى لما عاشه حتى الآن، فوضعه تحت عنوان "المسيح"، وهي عبارة تشمل في اسرائيل كل رجاء الشعب وانتظاراته. لكن ذلك لم يُدخِل في منطقه طريق الصليب والموت. لذلك لم يكن عند يسوع إلا أن يقدّم لبطرس إكمال الطريق نحو أورشليم ونحو الصليب. لكن هذا الطريق ليس سهلاً، إنه طريق غير منطقي، وهو ما سيظهر بقوة في نص الشاب الغني الذي يبحث عن كيفية الوصول الى الحياة الأبدية، بطريقة منطقية، فإذا بيسوع يقترح عليه ما هو غير منطقي (١٠: ١٧-٢٧)، فذهب حزينًا لأنه خسر حوارًا وجوديًا مع الرب، وخسر مرافقته في الطريق، فبقي في القديم ولم يستطع أن يُحدث الإنشقاق مع منطق العالم، والموت عن الذات والفهم الجديد للحياة (٨: ٣٤).
استطاع أعمى أريحا أن يصل الى هذا المستوى في الاتباع. فبعد أن ترك جلوسه الى جانب الطريق، واستقراره في دفء معطفه، وفي هوية أبيه "المكرّم" Timé، ولو في عماه وتسوّله (رج رؤ ٣: ١٧)، ترك استقراره ليتيه وراء يسوع على طريق أورشليم، نحو الصليب. قال له الرب "إذهب" فكان جوابه أن "تبعه" في الطريق. هذا هو الانشقاق المطلوب، وقد حققه الأعمى ما ان رأى "الحق".
كل ما أعلنه يسوع في الطريق حتى الآن صعب وعنيف (٨: ٣١-٣٨) لكن في هذا الطريق واحات راحة ومجد على جبل يرتفع عن جاذبيه هذه الأرض وصلبانها. لكن هذا التجلي يبقى مرحليًا، يمرّ سريعًا. ليس سوى

راحة سبت (بعد ستة أيام)، راحة نجدها في الشريعة والأنبياء ، لكن لا يمكن الاستقرار فيها. لا يمكن لأي مظلة أن تحجزها في إقامة طويلة الأمد. إن مصير التلميذ هو المسيرة الدائمة، ولو عبر محطات راحة ظرفية يستعين بها في صعوبات الطريق.

أورشليم قطب الإنغلاق والمحاكمة (١١: ١–١٣: ٣٧)

النص مركّز جغرافيًا، يعدد فيه مرقس منذ البداية الأمكنة التي ستتم فيها الآلام: أورشليم، وبيت عنيا، وجبل الزيتون، ويربطها بالتقليد اليهودي الذي يحدد طريق الله ومسيحه يوم الحكم الاسكاتولوجي (زك ١٤: ٤). بعد الدخول العلني الى أورشليم، يدخل يسوع الى الهيكل ثم يعود اليه في الغد ويلعن على طريقه التينة التي لم يجد فيها ثمرًا (١١: ١٢–١٤)، ويطرد الباعة من الهيكل. في اليوم التالي، أمام التينة اليابسة، علّم تلاميذه عن الايمان القادر أن ينقل الجبال بالصلاة (١١: ٢٠–٢٦). إن أهل الهيكل لشبيهون بهذه التينة العقيمة.

يدور الفصلان (١١–١٢) إذًا حول ثلاثة امكنة: بيت عنيا، مكان الراحة والحميمية ليسوع وتلاميذه؛ التينة: مكان الشرح والتفسير للتلاميذ؛ الهيكل : المكان حيث يواجه يسوع معارضيه وحده[١٠].

لا يُذكر التلاميذ الا في بيت عنيا، وحيث التينة حتى اورشليم، دون ان يُذكروا أبدًا مع يسوع في الهيكل الا عندما يختص الامر بفلس الارملة. وكأن في ذلك إعلاناً عن وحدة يسوع في آلامه. بيت عنيا وجبل الزيتون هما أمكنة التلاميذ، الاصدقاء[١١].

تطرح حادثة التينة مشكلة ان قُطعت من النص. فهي تشكل مفتاحًا لفهم ما سيلي من خبر حول خبرة يسوع في الهيكل. لام يسوع الهيكل لعقمه، فذبائحه باطلة لانها لا تتوافق مع ما يُحتفل به في الهيكل. أعطى

---

[١٠] **اليوم الاول**: ١١ : ١ يقترب يسوع وتلاميذه من اورشليم بوصولهم الى بيت عنيا (الناحية الثانية لجبل الزيتون بالنسبة لأورشليم)

١١ : ١١ يسوع يدخل الى هيكل اورشليم ويجيل طرفه في كل شيء فيه ثم يدخل الى بيت عنيا مع الاثني عشر.

اليوم الثاني: ١١ : ١٢ يسوع يترك بيت عنيا مع الاثني عشر في طريقه يتوقف ويلعن تينة لا تثمر.

١١ : ١٥ يصل يسوع وتلاميذه الى اورشليم يدخل وحده الى الهيكل ويطرد الباعة والصيارفة.

١١ : ١٩ عند المساء يدخل يسوع الى بيت عنيا.

اليوم الثالث: ١١ : ٢٠ في الطريق من بيت عنيا يسوع يمرّ مع تلاميذه قرب التينة التي يبست

١١ : ٢٧ وصلوا الى اورشليم

يسوع يواجه وحده في الهيكل، الكهنة والكتبة والشيوخ ثم مع الفريسيين والهيرودسيين والصدوقيين (١٢: ١٣و١٨) وأحد الكتبة (١٢: ٢٨)؛ في ١٢ : ٤٣ يدعو يسوع تلاميذه لدرس عن الارملة الفقيرة؛ وفي ١٣ : ١ يخرج من الهيكل ولن يعود اليه ابداً.

[١١] بعد خيانة يهوذا احد الاثني عشر سيتحوّل هذا المكان ايضاً الى مكان مواجهة.

يسوع التينة كمثلٌ حي، يدل في جوهره على أنه كما أن التينة التي لا تثمر لا دور لها، وبالتالي يجب أن تُقطَع، كذلك يخسر الهيكل العقيم دوره ويُهدم.

هنا نرى يسوع يترك الهيكل نهائياً في ١٣: ١بعد ان اعطى الارملة الفقيرة مثالاً لأنها اعطت كل ما تملك للحياة. هي صورة مسبقة لعطاء يسوع الكامل لحياته ولذبيحته التي ستُبطل ذبائح الهيكل.

خاتمة

من الواضح ان مرقس قد ركّز نصّه على وصف الامكنة الحقيقية التي مرّ بها يسوع. لكن لا يجب التوقف عند الاشارة لهذه الامكنة فقط. فهذه الامكنة تحمل معانٍ لفهم عمل يسوع. لذلك "ينظّم" الانجيلي وصفه للأمكنة ولتحركات يسوع بحسب ما يريد اظهاره من خلال الحدث الذي يجري. هذا ما نستنتجه مثلاً من موقف يسوع الجغرافي في صلاة الجستمانية (من ناحية المسافة بينه وبين تلاميذه) ورموزه اللاهوتية الكثيرة. فعلى مدى ثلاث مرات يأتي يسوع اليهم ثم يبتعد فينامون فتتكرّس المسافة بينهم : وصلوا (آ ٣٥ أ)، تركهم (آ٣٥ ب)، أتى نحوهم (آ ٣٧)، "ابتعد" (آ ٣٩)، ثم "عاد اليهم". ما ان يبتعد حتى يناموا. فيفهم القاريء أن الرب كان وحده في آلامه، ويطرح على نفسه السؤال: ما موقفي كتلميذ حق أمام الألم، هل آخذ موقف الرب فأبقى معه، أم أنام تاركًا إياه وحده وغارقًا في سبات الموت (النوم)؟ ويعود مرقس ليؤكد بأن الرب هو من يعود الى التلميذ، وانه الحاضر دومًا في موقفين متلازمين: يصلي ساجدًا فلا يبعده الألم عن الآب، ويقف أمام التلميذ طالبًا منه القيام من موته.

بعد الموت والقيامة، صار القاريء قادرًا على فهم معنى الجليل. جليل مرقس هو جليل ما بعد القيامة، جليل مواجهة كل قوى الإنغلاق فتعمّ البشارة والخيرات الأرض. بعد انشقاق حجاب الهيكل، فهم القاريء أن العالم مركّب ومنظّم بحسب حدود مرسومة، فإن اختُرِقَت هذه الحدود تغيَّر العالم... هذا ما يكرّسه الانجيل الثاني. فهو يبدأ وينتهي بإختراقات عميقة لكل الحدود الأرضية والكونية، لتبرير ضرورة وجود المسيحية والجديد الذي أتت به. لكنها اختراقات يقوم بها الله نفسه، ويرسمها إطارًا لطريق التلميذ ودعوته. عند عماد يسوع انشقّت السماوات (١: ١٠)؛ وعند موته انشق حجاب الهيكل (١٥: ٣٨). من المجمع خرج الروح النجس في أول أعجوبة (١: ٢١-٢٧)؛ وفُتِح السقف ليتسنّى للمخلّع المثول أمام يسوع، ويتمكّن من أن "يخرج" (٢: ١-١٢) وتنفتح الأبواب أمام كلمة الله. وفي البيت آكل يسوع الخطأة، وهم الذين من الخارج (٢: ١٥-١٧)؛ وأطعم اليهودي والوثني على حد سواء، كلٌ على أرضه، وعلى مساحته الجغرافية الخاصة؛ وشفى ابن البيت والغريب دون تمييز؛ هاجت العواصف وخاف التلاميذ ورفضَه المستقرّون... لكنه شقّ كل الحدود واخترق كل المسافات معتبرًا ذلك أمرًا طبيعيًا، لأن القماش الجديد لا بد وأن يشقّ القديم، وللخمر الجديدة أن تشق الزقاق

القديم... مع هذا الجديد، لا قديم قادر على الصمود، ولا حدود جغرافية تستطيع أن تحافظ على العالم القديم المعتاد.